## تحليل نموذج مختار من الشعر الإسلامي: بردة كعب بن زهير في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- والاعتذار إليه:[1]

انطلق كعب وأخوه بُـجَـيْرٌ يتبينان الدين الجديد، ولما اقتربا من المدينة، قال كعب لبجير: اذهب فالْقَ هذا الرجلَ (يقصد الرسول -صلى الله عليه وسلم- ) وانظر ما يقول، لكنّ بجيرًا تأخر ولم يعد، ووصل كعبا أن أخاه قد أسلم، فغضب لذلك غضبا شديدا، وبعث إليه بأبيات يلومه ويشتد في توبيخه، ويقول:

**أَلَا بَلِّغَا عَـنِّـي بُـجَـيْـرًا رسالـةً *** فَوَيْحَكَ فيما قُلْتَ وَيْحَكَ هَلْ لَكَا**
**شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُـونِ كَأْسًا رَوِيَّـةً *** فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُـــونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا**
**وخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَاتَّبَعْتَـهُ *** عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا**
**على خُلُـــقٍ لم تُلْـــفِ أُمًّا ولا أبًا *** عليه ولَمْ تُـــدْرِكْ عليه أَخًا لَكَا**
**فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ *** ولا قائِـلٍ إمّا عَثَـرْتَ لَعًا لَكَا**

يقصد بالمأمون هنا – النبي صلى الله عليه وسلم – و"ويب" كلمة يراد بها الهلاك. ثم أرسل بجيرٌ إلى أخيه ردا على أبياته:

**مَنْ مُبْلِغٌ كَعْبًا فَهَـــلْ لَكَ فِي الَّتِي *** تَلُـــومُ عليها باطلاً وهْيَ أَحْـزَمُ**
**إلى اللهِ لا العُزَّى ولا اللَّاتِ وحدَه *** فتنجُو إذا كان النَّجاءُ وتَسْلَـــمُ**
**لدَى يَوْمٍ لا يَنْجُـو ولَيْسَ بِمُفْلِتٍ *** مِنَ النّاسِ إلاّ طاهِرُ القَلْبِ مُسْلِمُ**
**فَدِينُ زُهَيْـــرٍ وَهْوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ *** ودِينُ أَبِي سَلْمَى عَلَيَّ مُـحَـــرَّمُ**

### قصيدة "بانت سعاد":

وقف كعب بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ممتدحا ومعتذرا، فجادت قريحته بأروع الأبيات، فقال: [2]

---

[1] - هو كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى الْمُزَنِيّ، من أهل نجد، وأحد فحول الشعراء المخضرمين، ينسب إلى مُزَيْنَةَ، إحدى القبائل المضرية، أمه كبشة بنت عمار بن عدي من غطفان. ولد في الجاهلية ونشأ في غطفان قوم أمه، شاعر الحكمة الكبير، نشأ في كنف أسرة يسري الشعر في عروقها فمكنه ذلك من أن يرث مجد أبيه، الذي تتلمذ على يديه، وكان ينهاه عن قول الشعر خشية أن يأتي منه لا لا خير فيه، لكنه لم ينته، فامتحنه والده، فتأكد من نبوغه ومقدرته، فسمح له بالانطلاق فيه، فأصبح من المبرزين المقدمين. (توفي كعب نحو24/ 644، وقيل: 26ه/645م، وقيل: 42/ 662. ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان: 162/1، وتاريخ الأدب العربي للزيات: 146، وديوان الشاعر: 13-25، وشرح ديوانه للسُّكَّري: 8...

[2] - هذه رائعة الشاعر والصحابي (كعب بن زهير) في مدح رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فبعد أن طفق كعب يجول في الأرض يهجو المسلمين ويؤذيهم بشعره، ويشبب بنسائهم، وعلم الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- بذلك أهدر دمه، فلم يبال كعب بذلك، ولم يقلع عن غيّه. ولما بلغه خبر مقتل المشركين وشعرائهم -الذين كانوا يتعرضون للمسلمين ويؤذونهم- في حنين وثقيف، أدرك مدى خطورة الموقف، وقوة المسلمين وقائدهم

**بانَتْ سُعادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ *** مُتَيَّمٌ إِثْـــــــرَها لَم يُفْدَ مَكْبُـولُ**
**وَما سُعادُ غَداةَ البَيْنِ إِذ رَحَلـوا *** إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَّرفِ مَكْحُولُ**
**هَيْفَاءُ مُقبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِـــــرَةً *** لا يُشْتَكى قِصَـــــرٌ مِنها وَلا طُـولُ**

كعادة الشعراء العرب استهل كعب قصيدته بمقدمة غزلية عفيفة، سمعها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي ذلك بيان جواز الشعر البعيد عن المجون.

ويبتدأ كعب قصيدته بذكر المرأة، وما خلّفه رحيلها عنه من ألم ولوعة وشوق.

**فَما تَـــــدُومُ عَلى حالٍ تَكــونُ بِها *** كَما تَلَوَّنُ في أَثْـــوابِها الغُـــولُ**
**تَجْلُو عَوارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذا ابتَسَمَتْ *** كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالـــــرَّاحِ مَعْلُولُ**
**كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُـــــوبٍ لَها مَثَلاً *** وَما مَواعيـــدُها إِلّا الأَباطيلُ**

تتمادى سعاد في هجرها وتنكرها له ، فكانت كعرقوب وهو رجل يضرب به المثل في الإخلاف

بالوعود. ويصل هذا المطلع إلى أربعة عشر بيتًا إلى قوله :

**أَمسَت سُعادُ بِأَرْضٍ لا يُبَلِّغُها *** إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ الْمَراسِيلُ**

وبعد هذا المطلَع يَنتقل الشاعر إلى وصف ناقته على عادة الشعراء القدامى؛ إذ لهم بالنوق شأن كبير في وصف سيرهنَّ وأجسامهنَّ وطباعهنَّ، ووصف

---

عليه أزكى الصلاة والتسليم، فأظلمت الدنيا في وجهه، وعلم أنه مقتول لا محالة، وأثناء ذلك وصلته رسالة من أخيه بُجَيْرٍ يخبره فيها أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يقتل من جاءه تائبا، فأسْرِعْ إليه، وإلا فانْجُ بحياتك في الأرض. فرق قلب كعب، ووثق بعفو الصادق الأمين، وقصد المدينة المنورة، ودخل إلى المسجد في صلاة الصبح، فتقدم إليه وقال: يا رسول الله، أنا رسول كعب بن زهير إليك، وإنه قد جاء تائبا معتذرا فهل أنت قابل منه؟ قال: نعم، فقال: يا رسول الله أنا كعب بن زهير. وما أن سمع الحاضرون كعبا ينطق باسمه، حتى وثب رجل من الأنصار يريد قتله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **((دعه عنك، فإنه قد جاء تائبا نازعا عما كان عليه))**. أسلم كعب، وفرح بالعفو الجميل من الرسول الكريم، وأنشد بين يديه قصيدة من أعظم ما مُدح به بشر. ووهب له رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بردته، فاشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم، وقال العتبي: بعشرين ألف. وتوارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والأعياد تبركا بها. ولم يحظ شعر بما حظيت به قصيدة "بانت سعاد"، حيث حظيت بفائق العناية، ووافر الرعاية شرحا ودراسة، وترجمت إلى عدة لغات. ولا عجب في ذلك؛ فهي من الشعر الذي شَرُفَ بسماع الرسول –صلى الله عليه وسلم- له، وألقي في مسجده وبحضرة أصحابه – رضوان الله عليهم- وأحال عبدا من الخوف والغضب إلى الرحمة والعفو، وتلقاه أهل العلم بالقبول، على اختلاف طبقاتهم واتجاهاتهم في التصنيف. ولله در أبي إسحاق الغزّي (ت 534ه): (ينظر حاشية على شرح (بانت سعاد) لابن هشام، للبغدادي: 18/1):

**مَحَتْ (بَانَتْ سُعَادُ) ذُنُـوبَ كَعْـبٍ *** وَأَعْلَـتْ كَعْبَـهُ فِي كُـــــلِّ نَادِ**

وهي قصيدة لامية تربو على ثمان وخمسين (58) بيتا من بحر البسيط. حفظتْها مصادر الأدب ما بين زيادة ونقص وتبايُن في الرواية. والقصيدة في تسع وخمسين بيتا في ديوان كعب، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1407ه/ 1987م، ص: 60. وانظر العمدة لابن رشيق (1/22-24)، والشعر والشعراء: 67 وما بعدها، وطبقات الشعراء: 32، وجمهرة أشعار العرب للقرشي: 47-48.

المفاوِز والفلَوات التي تَقطَعُها الناقة وصولاً بذي الحاجَة إلى غرضِه وتحقيق مراده. ويَشتمِل هذا الوصفُ على واحد وعشرينَ بيتًا مِنها قوله:

**وَلَنْ يُبَلِّغها إلّا عُـذافِـــــرَةٌ *** فيها عَلى الأَيْـنِ إرْقالٌ وَتَبْغِيــلُ**

**كَأَنَّ ما فاتَ عَيْنَيْها وَمَذْبَـحَها *** مِن خَطْمِها وَمِن اللَّحْيَيْنِ بَرطِيلُ**

وينتقل كعب بعد ذلك إلى وصف الناقة، وتلك ـ كما أشرنا ـ عادة عربية أصيلة اتخذها الشعراء الأقحاح كالفارس عنترة بن شداد، هذه الناقة اتخذت من الصفات أجملها وأعظمها، فهي عُذافرة أي صلبة عظيمة، تجوب الصحاري بكل قوة ونشاط، ولا يثنيها عن ذلك أي حرّ أو شدة.

**يَـمْشِي القُرَادُ عَلَيْها ثُمَّ يـزْلِـقُهُ *** مِنها لَبانٌ وَأَقــرابٌ زَهالِيــلُ**

يعني أن جلدها أملس لسمنه، فلا تقف عليه الحشرات، وذلك تصوير غاية في الدقة والإبداع. إلى قوله:

**تَفْرِي اللَّبانَ بكفَّيها ومِدْرَعِها *** مُشَقَّقٌ عن تَـــــــراقيها رَعابيلُ**

ثم يمهد الشاعر للغرض الرئيس؛ وهو مَدح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيأخُذ في إبداء عُذرِه عما اقترَفه في حقّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يَدخُل في الإسلام، ويُمهّد لهذا العذر بأربعة أبيات هي قوله:

**تَسعى الوشاةُ بِـجنْبَيها وقَوْلُـهـمُ *** إنكَ يا بنَ أبي سُلمى لمَقتـــولُ**

**وقال كلُّ خليـلٍ كنتُ آملُـــه *** لا ألفينَّك إني عنكَ مَشغــولُ**

**فقلتُ: خلُّوا سَبيلي لا أبا لكُـمُ *** فكلُّ ما قدَّر الرحمنُ مَفعـــولُ**

**كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طالَتْ سَلامَتُهُ *** يَوْماً عَلى آلَةٍ حَـدْبَاءَ مَـحْمُـولُ**

بعد ذلك ينتقل إلى موضوع القصيدة الرئيس، فيعرب عن اعتذاره، موجهًا الخطاب إلى رسول الهُدى -صلى الله عليه وسلم- بقوله:

**أُنْبِئْـتُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ أَوْعَـــدَنِي *** وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُـولُ**

**مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نافِلَةَ الْـ *** قُرْآنِ فيها مَوَاعِيــظٌ وَتَفْصِيـلُ**

ما أروعها من كلمات تقطر حكمة وبلاغة، تأمل قول كعب بحقيقة الإنسان في هذه الدنيا الفانية، والتي تنتهي بكفن ونعش يحمل فيه على الأكتاف ليشيّع إلى لحده. وبأسلوب غاية في الأدب والرقة، يعتذر إلى خير الخلق، وسيد العرب والعجم، طالبا عفوه، آملا في منّه وحلمه، فهو صاحب الرسالة الهادية، والقرآن المنزّل الشافي للصدور. وقيل إن كعبا لما قال: وَالعَفْوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ، قال النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم-: "العفو عند الله مأمول".

**لَقَد أَقـومُ مَقاماً لَـوْ يَـقُـــــومُ بِـهِ *** أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَـــعُ الفيــلُ**

**لَظَلَّ يُـرْعَـدُ إِلّا أَنْ يَكـــونَ لَـهُ *** مِنَ الرَّسولِ - بِإِذنِ اللهِ – تَنويـــلُ**
**لَذاكَ أَهْيَبُ عِنـــدي إِذ أُكَـلِّمُـهُ *** وَقيلَ: إِنَّكَ مَسْبُـــورٌ وَمَســـؤولُ**
**مِن ضَيْغَمٍ مِن ضِراءَ الأُسْدِ مَخْدَرُهُ *** بِبَطْـنِ عَثَّـــرَ، غِيـلٌ دُونَهُ غِيـلُ**

في وصف بليغ يصور كعب شدة خوفه من وعيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبأن الفيل لعظمة جثته يرتعد من هيبة وعظمة النبي الكريم، لكن نفسه ارتاحت وسكنت لما وضع يده بأطيب وأشرف يد، فنال عفو سيد الخلق.

**إِنَّ الرَّسولَ لَنـــورٌ يُستَضاءُ بِهِ *** مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللهِ مَسلولُ**
**في عُصْبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُمْ *** بِبَطنِ مَكَّةَ لَمّا أَسْلَموا زُولـوا**
**زَالوا فَما زالَ أَنْكاسٌ وَلا كُشُفٌ *** عِندَ اللِّقاءِ وَلا مِيلٌ مَعازيـلُ**

وأي نور يضيء بعد نور النبي الهادي، أَعْظِمْ بِهِ مِنْ بَيْتٍ، فهو - بحق - أجمل بيت في قصيدة كعب.

**شُمُّ العَـرانينِ أَبطالٌ لَبـــوسُهُـــمُ *** مِن نَسجِ داوُدَ في الهَيْجا سَرابيـلُ**
**بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَها حَلَـــقٌ *** كَأَنَّها حَلَقُ القَفعاءِ مَجْـــــدولُ**
**يَمشون مَشيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعصِمُهُم *** ضَرْبٌ إِذا عَرَّدَ السّـُودُ التَّنابيلُ**

مدح كعب المهاجرين بأحسن الأوصاف وقيم النبل والأخلاق، فهم الذين هاجروا بدينهم وتحملوا ما تحملوا من مشقة وعناء، وهم الأقوياء الشجعان ذوي الأصول الكريمة، والهيبة المنيعة، استحقوا شرف رفقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وقيل: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له: "ألا ذكرت الأنصار بخير؟ فإن الأنصار لذلك أهل. فخصص لهم كعب بعد ذلك قصيدة يمدحهم فيها حيث يقول:

**مَن سَرَّهُ كَرَمُ الحَياةِ فَلا يَـــزَل *** في مِقنَبٍ مِن صالِحي الأَنصارِ**
**تَزِنُ الجِبالَ رَزانَـــةً أَحلامُهُـــم *** وَأَكُفُّهم خَلَفٌ مِنَ الأَمـــطارِ**
**المُكرِهينَ السَّمْـــهَـرِيَّ بِأَذرُعٍ *** كَصَواقِلِ الهِنْـــدِيِّ غَيرِ قِصارِ**
**وَالناظِـرينَ بِأَعْيُنٍ مُـحْمَـــرَّةٍ *** كَالجَمْرِ غَيـــرِ كَليلَةِ الإِبصارِ**

فلما فرغ كعب من إنشاد قصيدته، خلع النبي -صلى الله عليه وسلم- بردته الشريفة وأهداها لكعب، وهذا تكريم ما بعده تكريم، وهدية ليست ككل الهدايا، ولهذا أطلق على هذه القصيدة اسم البردة.

ويتجلى الإبداع في وحدات القصيدة لفظًا لفظًا، وتركيبًا تركيبًا، فلم يُغرِب، ولم يَتكلَّف، وإنما جاءت القصيدة نظمًا مُتناسِقًا، كلُّ لفظة تليق بالمعنى

الذي يَحمِله البيت، وتُجسِّده الصورة. ولا تخلو القصيدة من الجزالة التي اشتهرت بها القصيدة العربية القديمة.

ومما يدلُّ على إبداع الشاعر كعب بن زهير في هذه اللامية الرائعة أن القصيدة بلغَت من الشُّهرة والذيوع مبلغًا كبيرًا، وأصبحت نموذجًا يُحتذى في المدح، وتولاها بالشرح والتحليل كثير من الأدباء.

وآية الإبداع والإجادة في قصيدة كعب بن زهير: حملها لملامح جديدة لم يكن الشعراء
يَمدحون بمثلها في الجاهلية؛ كحديثه - رضي الله عنه - عن القرآن الكريم، وعن هداية النبي -صلى الله عليه وسلم- للناس وتأييده مِن ربه. كما ضمنها ذلك المعنى الإسلامي الرائع؛ حيث فوَّض الأمور كلّها إلى الله وحده، وهذا محض الإيمان بالدِّين الجديد الذي آمَن به، ويَتجلى هذا
المعنى في قوله:

**فَقُلْتُ: خَلُّــوا طَرِيقِي لَا أَبَا لَكُمُ *** فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ**

ويَتْبَعُ ذلك المعنى معانٍ إسلاميةٌ أبدعها كعب لـمَن جاء بعده كقوله: **(إن الرسولَ لنُور يُستضاء به).** وكقوله:

**مهلاً هَداك الذي أعطاك نافلةَ الــ *** قرآن فيها مواعيظٌ وتفصيلُ**

وبهذا فتَح كعب الباب لـمَن جاء بعده ليَسير على نهجِه، وفي ذلك خدمة كُبرى للإسلام.

وتعد هذه القصيدة كنزا من الدرر النفيسة، فنحن أمام شاعر بدوي جاهلي أبا عن جد، فُطم على الشعر كأبيه (زهير)، فإذا نظرنا إلى مقدمة القصيدة، فقد التزم كعب بعادة الجاهليين في الوقوف على الديار وذكر المحبوبة، وكذلك وصف الناقة ليصل إلى غرض القصيدة الأساس؛ ففي المشهد الأول يصف سعاد غداة الرحيل بنغمة شجية وصورة شفافة على ما فيها من مادية جاهلية واستطراد تشبيهي، فشبه سعاد بقوله:

**وَما سُعادُ غَداةَ البَيْنِ إِذ رَحَلـوا *** إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَّرفِ مَكْحُولُ**

فعجز البيت من باب التشبيه التخييلي، الذي لا يطرك بشيء من الحواس الخمس الظاهرة،
كالذي وقع في قوله تعالى:[1] **{إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ**

[1] - سورة الصافات.

**الشَّيَاطِينِ (65)}**. فتشبيه طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين أمر غير معتاد للعيان. فالعرب تزعم أن الغول تتحول من شأن إلى شأن (بصورة إنسان أو حيوان)، والأظهر أن العرب تسمي كل داهية غولا على التهويل والتعظيم؛ فالمشبه تلون سعاد في حال القرب والبعد، والمشبه به تلون الغول، ووجه الشبه سرعة التلون وكثرة التنقل، والمشبه حسي من وجه، وعقلي من وجه آخر. وغرض هذا التشبيه راجع إلى المشبه، لبيان حاله، على سبيل التشبيه المفرد، وهو كثير في القصيدة. ثم يصل إلى غرض القصيدة؛ فيشبه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالسيف الحاد، والأسد المهاب، على سبيل التشبيه البليغ:

**إِنَّ الرَّسولَ لَنورٌ يُستَـضاءُ بِهِ *** مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللهِ مَسلـولُ**

في هذا البيت تَبرُزُ ملامح الإبداع في توفيق الشاعر إلى أسمى ما يُحبُّ أن يُمدح به النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو النور الفائض على العالمين، أي كسيف قاطع في دفع الباطل ودمغه، وفي الاقتداء به، لما جاء بالنور المبين والمعجزات الظاهرة، ودعا الناس إليه أتوا مهتدين بنوره الساطع، ومؤتمين بضيائه اللامع.

وشبه نفسه كفيل عظيم ارتعد من هيبة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، فقال:

**لَقَد أَقومُ مَقاماً لَو يَقـــومُ بِهِ *** أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَعُ الفيـــلُ**
**لَظَلَّ يُـــرْعَدُ إِلّا أَن يَكونَ لَهُ *** مِنَ الرَّسولِ - بِإِذنِ اللهِ - تَنويلُ**

ومن أمثلة التشبيه التمثيلي، الذي ينتزع فيه وجه الشبه من متعدد، قوله:

**تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إِذا ابْتَسَمَتْ *** كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالـرّاحِ مَعلولُ**

تشبيه يحتمل معاني كثيرة تنم عن سعة فكر الشاعر وقوة شاعريته؛ فشبه بالمنهل في البياض،
وبالمعلول في الحمرة، إذ بياض ثغرها يضرب إلى الحمرة؛ وهذا تشبيه طرفاه حسيان، والمشبه واحد، والمشبه به متعدد، والغرض من التشبيه راجع إلى المشبه؛ إما لبيان حاله، وإما لاستطرافه، على سبيل قوله - تعالى -:[1] **{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (17)}**

وقد أجاد كعب في وصف حال "سعاد" بطريق التشبيه المقلوب، فقال:

**كَانَت مَواعيدُ عُرْقُوبٍ لَها مَثَلاً *** وَما مَواعيـدُها إِلّا الأَباطيـلُ**

[1] - سورة البقرة.

ضرب كعب الأمثال في قصيدته في ذكره لعرقوب، وهو رجل يضرب به المثل في إخلاف
الوعد. وشطر البيت من باب التشبيه المقلوب؛ بقصد المبالغة في جعل الفرع أصلا والأصل فرعا، على طريقة ما جاء في قوله -تعالى-:[1] **{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275)}.** وغرض التشبيه في بيت الشاعر راجع إلى المشبه به؛ وهو إيهام أنه أتَمُّ من المشبه في وجه الشبه، الذي هو تحقيق الخلف من سعاد أكثر من مرة.

وفي هذه الرائعة يتجلى الإبداع في وحدات كل بيت يَحمل صورة شعرية.

ومن أرفع الصفات والخلال أن يُثني على النبي -صلى الله عليه وسلم- بالشجاعة والعفو عند المقدرة:

**أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي *** وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ**

كما برع في وصف المهاجرين بامتداد القامة، وعظم الخلق، وبياض البشرة، والرفق في المشي،

وذلك دليل الوقار:

**يَمشون مَشيَ الجِمالِ الزُهْرِ يَعْصِمُهُمْ *** ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيلُ**

كذلك يصفهم بالصبر والشدة في الحروب، وقلة اكتراثهم بأعدائهم، فهم إذا غَلبوا لا يفرحون، وإذا غُلبوا لا يجزعون.

**لا يَفرَحونَ إذا نالَت رِماحُهُمُ *** قَوماً وَلَيسوا مَجازيعاً إذا نِيلُوا**

وتكثر بالقصيدة أنواع الاستعارات، منها التصريحية في مثل قوله:

**تَجْلُو عَوارِضَ ذِي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ *** كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالـرّاحِ مَعْلُـولُ**

يريد بقوله (معلول) الخمر المخلوط بها؛ إذ هو شبيه بالمسقي خمرا.

ومن أمثلة الاستعارة المكنية قوله:

**شُجَّتْ بذي شَبَمٍ منْ ماءِ مَحْنِيَـةٍ *** صافٍ بأبطحَ أضحَى وهْوَ مشمولُ**

أي خلطت بماء بارد، والعوارض ليست مما يمزج بشيء، لكنها تشبه الماء في الصفاء، والماء مما يمزج، فادعى أنها ماء على طريق الاستعارة المكنية، لحذف المشبه به.

[1] - سورة البقرة.

أما الإيقاع الخارجي فقد اختار الشاعر بحر البسيط[1]، كشكل إيقاعي استطاع احتواء
التجربة الشعرية ذات المعاني المختلفة، فباعتباره بحراً طويلاً، أتاح للشاعر إمكانية إيجابية لإيصال معاني معينة، ومنحه نفساً تركيبياً ودلالياً لكي يشحن تفاعيله بتجربة شعرية وشعورية معقدة، تتوزعها أغراض مختلفة، منها: الغزل، والمدح، والاعتذار... واختار الروي (اللام)، وهو صوت أسناني مجهور متوسط، يناسب يدل على طلب الرحمة، ويناسب نفسية الشاعر، والقافية مطلقة (مضمومة) تفسح المجال لإشباع الصوت، مما يتماشى مع الأمل الكبير لدى كعب. وحروف المد الصامتة قبلها التي تخرج من جوف الصدر وتنتهي إلى هواء الفم، لتنقل ما يعالجه الشاعر من خوف ورهبة، ممتزجين ببعد أمل في العفو والصفح.

هذا فضلا عن الإيقاع الداخلي المتمثل في التكرار بأنواعه: الحرفي والكلمي، والجناس...

ومهما اجتهدنا في تحليل وشرح قصيدة "بانت سعاد" فلن نوفيها حقها، وقد خصّت أعظم خلق الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، قصيدة لخص فيها كعب بن زهير ببراعة منقطعة النظير، وأسلوب بياني بالغ في التقدير - لخص - قصة قدومه لطلب عفو سيد الخلق حتى تم له ذلك، فانتهت هذه القصة بتشريف عظيم فخلع عليه بردته الشريفة، فكانت قصيدة البردة بانت سعاد: أعظم قصيدة في مدح خير خلق الله، وعنوانا بارزا في ديوان الشعر العربي العريق.

[1] - البسيطُ: سمي بسيطا لانبساط أسبابه؛ أي تواليها في مستهل تفعيلاته السباعيّة، وقيل لانبساط الحركات في عروضه وضربه في حالة قبضهما؛ إذ تتوالى فيهما ثلاث حركات. ويحتل البسيط المرتبة الثانية بعد الطويل، ويشاركه في هذه المرتبة الكامل. وهو بحرٌ ثُنائيُّ التّفعيلةِ، يرتكزُ بناؤه على تفعيلتي: (مُسْتَفْعِلُنْ) و(فَاعِلُنْ)، ووزنه: (مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ *** مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ). ومفتاح البسيط: (إنَّ الْبَسِيطَ لَدَيْهِ يُبْسَطُ الأَمَلُ *** مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُ). ويجوز استعماله تاماً ومجزوءًا.